قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية

مجلة البحوث والدراسات الاسلامية

الصفحة الرئيسية للمجلة:https://djisrs.dws.gov.iq

حقوق المسنين في السنة النبوية: جمعاً وتصنيفاً ودراسة

The Rights of the Elderly in the Prophetic Tradition: A Compilation, Classification, and Study

م.د أحمد محمد عدوان*

ديوان الوقف السني/ دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية في العراق

Keywords

Prophetic Sunnah, rights of the elderly, respect for the elderly, psychological care, heart-soothing hadiths, social solidarity, jurisprudence of leniency.

Abstract

This study aims to elucidate the comprehensive system of rights for the elderly in the Prophetic tradition through an objective, analytical examination of nine authentic hadiths from the most authoritative sources, which are classified and studied under three main dimensions: moral rights, religious obligations, and social and material obligations. The study focuses on critically balancing the advanced rights framework established by the Prophet's guidance with the reality of contemporary marginalization and the role of modern care, based on linking legal implications to the psychological and social needs of the elderly, to present a contemporary Islamic vision that guarantees human dignity in old age and enhances the quality of their psychological and biological lives.

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال:

المراجعة:

القبول:١/٦/٢٠٢٦

الكلمات المفتاحية:

السنة النبوية، حقوق المسنين، توقير الكبير، الرعاية النفسية، أحاديث الرقائق، التكافل الاجتماعي، فقه التيسير.

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى استجلاء المنظومة الحقوقية المتكاملة لكبار السن في السنة النبوية من خلال دراسة موضوعية تحليلية لـ (٩) أحاديث نبوية من الأصول الجامعة الصحيحة، حيث يتم تصنيفها ودراستها ضمن ثلاثة أبعاد رئيسة: الحقوق المعنوية، والتشريعات التعبدية، والالتزامات المجتمعية والمادية؛ ويركز البحث على الموازنة النقدية بين الرقي الحقوقي الذي أرساه الهدي النبوي وبين واقع التهميش المعاصر ودور الرعاية الحديثة، مستنداً إلى ربط الدلالات الشرعية بالاحتياجات النفسية والاجتماعية للمسن، لتقديم رؤية إسلامية معاصرة تضمن كرامة الإنسان في مرحلة الشيخوخة وتعزز من جودة حياته النفسية والبيولوجية.

* Ahmed.muhammed.dulaimi@gmail.com

١.المقدمة:

تعد السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وهي التطبيق العملي للقيم القرآنية التي جاءت لتكريم الإنسان في كافة مراحل حياته. ومن بين الفئات التي أولاها الهدي النبوي عناية فائقة فئة "المسنين"، حيث لم يقتصر الأمر على مجرد الوعظ، بل تعداه إلى إرساء منظومة حقوقية متكاملة تضمن لهم الكرامة والاستقرار النفسي والمادي، مما يجعل دراسة هذه الحقوق ضرورة حضارية واجتماعية.

إشكالية البحث

تكمن الإشكالية في التحديات المعاصرة التي تواجه فئة كبار السن من تهميش أو ضعف في الرعاية، مما يستوجب العودة للمعين النبوي لاستخراج الحقوق الضابطة للتعامل معهم. ويمكن بلورة الإشكالية في التساؤلات التالية:

١. ما هي الرؤية الإسلامية لمرحلة الشيخوخة كما عرضتها السنة؟

٢. ما هي الحقوق الأدبية والتعبدية والمادية التي كفلتها السنة للمسن؟

٣. كيف يمكن تفعيل هذه الحقوق في الواقع المعاصر بناءً على الأحاديث الجامعة؟

أهمية البحث

تبرز أهمية البحث في كونه يسلط الضوء على جانب "حقوقي" تخصصي في السنة النبوية، بعيداً عن السرد العام، مما يسهم في إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة تجمع بين فقه الحديث والعلوم الاجتماعية، وتبرز سماحة الإسلام في التعامل مع الفئات الضعيفة.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق ما يأتي:

١. حصر وتصنيف الأحاديث الأصول المتعلقة بكبار السن.

٢. تبيان المنهج النبوي في الجمع بين الرعاية المادية والدعم النفسي للمسن.

٣. تقديم دليل حقوقي مستنبد من السنة يصلح ليكون مرجعاً للمؤسسات الرعوية.

حدود البحث

١. **الحدود الموضوعية:** تقتصر الدراسة على حقوق المسنين المستنبطة من (٩) أحاديث من الأصول الجامعة الصحيحة.

٢. **الحدود الزمانية والمكانية:** لا يتقيد البحث بزمان أو مكان، بل يقدم قواعد عامة صالحة لكل عصر.

منهج البحث

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي لجمع الأحاديث من مظانها في كتب السنة، والمنهج التحليلي لتفكيك النصوص النبوية واستنباط الأحكام والحقوق الواردة فيها، مع الالتزام بالتوثيق الأكاديمي المعتمد.

خطة البحث

تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة، يندرج تحت كل مبحث مجموعة من المطالب التفصيلية، تنتهي بخاتمة تتضمن أهم النتائج.

المبحث الأول: الحقوق المعنوية والأدبية للمسن في السنة

المطلب الأول: حق التوقير والإجلال

المطلب الثاني: حق التقديم في الإمامة والريادة

المطلب الثالث: حق التحدث والبدء بالكلام

المبحث الثاني: الحقوق التعبدية والشرعية (رعاية العجز)

المطلب الأول: حق التخفيف في العبادات الجماعية

المطلب الثاني: حق التيسير في فرائض الأركان (الصيام والحج)

المطلب الثالث: حق التلطف والرحمة في الموعظة

المبحث الثالث: الحقوق المجتمعية والمادية

المطلب الأول: حق الكفاية المالية والنفقة

المطلب الثاني: حق الرعاية الطبية وعيادة المريض

المطلب الثالث: حق الحماية من العزلة والوحدة

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات والمقترحات

٢.المبحث الأول: الحقوق المعنوية والأدبية للمسن في السنة

يُعد الجانب المعنوي الركيزة الأولى في التعامل مع كبار السن في الهدي النبوي، إذ إن كرامة المسن تسبق كفايته المادية، وهذا المبحث يسلط الضوء على الأصول النبوية التي حفظت للمسن هيبته ومكانته الرمزية في المجتمع.

١.٢.المطلب الأول: حق التوقير والإجلال

يقوم هذا الحق على فكرة المركزية الأخلاقية للمسن في المجتمع المسلم، حيث ربط النبي ﷺ بين إجلال الله تعالى وإجلال ذي الشيبة، مما يرفع التعامل مع المسنين من مجرد سلوك اجتماعي إلى عبادة وقربة (الخولي، ٢٠٢٠، ص ٤٥).

نص الحديث: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ من إجلالِ اللهِ إكرامُ ذي الشيبةِ المسلمِ، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامُ ذي السلطانِ المُقسِط".

تخريج الحديث: (أبو داود، كتاب الأدب، باب في إجلال ذي الشيبة المسلم، حديث رقم ٤٨٤٣).

الشرح والتحليل: يدل قوله ﷺ "من إجلال الله" على أن تعظيم المسلم الذي شاب شعره في الإسلام هو من تعظيم الخالق سبحانه، وفي هذا تشريف عظيم لهذه الفئة. ويشير العلماء إلى أن تقديم "ذي الشيبة" في الذكر هنا ينبه إلى عظم حقه النفسي والاجتماعي؛ فالمسن الذي أفنى عمره في الإسلام يستحق حماية معنوية تقيه انكسار النفس الذي قد يصاحب ضعف البدن (ابن حجر، ١٣٧٩هـ، ج١٠، ص ٥٢٣). إن هذا التوقير ليس مجرد بروتوكول، بل هو سياج يحمي المجتمع من التحلل القيمي وتفكك الروابط بين الأجيال.

نقد مفهوم "التوقير" بين الهدي النبوي والواقع المعاصر

عند الموازنة بين "حق التوقير" الذي أقره النبي ﷺ وبين النماذج الاجتماعية الحديثة، نجد فجوة بدأت تتسع بفعل طغيان المادية؛ فبينما ربط الحديث الشريف بين إجلال الله وإكرام ذي الشيبة، نجد أن الحضارة المادية المعاصرة أصبحت تقيّم الإنسان بناءً على "قدرته الإنتاجية" فقط (الزحيلي، ٢٠١٨، ص ٩٢). هذا المنظور النقدي يكشف أن تهميش المسن في بعض المجتمعات، وحصره في "دور الرعاية" كحل أولي وليس اضطرارياً، يمثل تراجعاً عن المكتسبات الأخلاقية التي أرساها الإسلام. إن النقد الموجه هنا ليس للمؤسسات الرعوية بذاتها، بل لثقافة "الاستثقال" التي حذر منها الهدي النبوي، والتي تحول المسن من "منبع للبركة" إلى "عبء اجتماعي"، وهو ما يتنافى مع أصل "الإجلال" الوارد في حديث أبي موسى الأشعري.

٢.٢.المطلب الثاني: حق التقديم في الإمامة والريادة

تتجلى عبقرية المنهج النبوي في جعل "السن" معياراً مرجحاً عند استواء

الكفاءات، مما يعزز شعور المسن بالأهمية والفاعلية في قيادة المجتمع المصغر (المسجد) والمجتمع الكبير.

نص الحديث: عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤمُّ القومَ أقرؤُهم لكتابِ اللهِ، فإن كانوا في القراءةِ سواءً فأعلمُهم بالسُّنةِ، فإن كانوا في السُّنةِ سواءً فأقدمُهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرةِ سواءً فأكبرُهم سِنًّا."

تخريج الحديث: (مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، حديث رقم ٦٧٣).

الشرح والتحليل: يرى الباحثون أن تقديم الأكبر سناً في الإمامة عند تساوي العلم والقراءة هو تقدير لسبقه في الإسلام وخبرته بالحياة (النووي، ١٣٩٢هـ، ج٥، ص ١٧٢). هذا الحق النبوي يرسخ قاعدة "السيادة للخبرة"، ويمنع تهميش المسنين في المحافل العامة، ويجعل لسنوات عمرهم قيمة مضافة تمنحهم الأولوية في الصدارة، وهو ما ينعكس إيجاباً على الروح المعنوية للمسن ويشعره بتقدير المجتمع لعطائه الطويل.

تحليل نقدي لمعايير الصدارة والقيادة

تتجلى أهمية نقد المعايير الحديثة للقيادة عند استعراض المطلب المتعلق بتقديم "الأكبر سناً". في العصور المتأخرة، هيمنت "النزعة الشبابية" على مراكز اتخاذ القرار، مما أدى في كثير من الأحيان إلى إقصاء الخبرات التراكمية لكبار السن (عمار، ٢٠٢١، ص ١١٤). وبالنظر إلى حديث "فأكبرهم سناً"، نجد أن المنهج النبوي لم يغفل الكفاءة (القراءة والعلم)، ولكنه جعل "السن" هو المرجح النهائي لحفظ السلم المجتمعي ومنع النزاع. النقد هنا يوجه للأنظمة التي تتقاعد فيها الخبرات بشكل قسري وشامل دون الاستفادة من "الحكمة" التي لا تُكتسب إلا بمرور السنين، وهو ما أدى إلى فقدان حلقة الوصل بين طموح الشباب وحكمة الشيوخ.

٣.٢.المطلب الثالث: حق التحدث والبدء بالكلام

من الحقوق الأدبية الراقية التي أرساها النبي ﷺ حق "الأولية في التعبير"، حيث نهى الصغير أن يتقدم على الكبير في الكلام، تقديراً لمكانته وتوقيراً لشيبته.

نص الحديث: عن رافع بن خديج وسهل بن أبي حثمة: "أنَّهما حدَّثا رسولَ اللهِ ﷺ في قتيلٍ... فقال رسول الله ﷺ: كبِّر كبِّر، يُريدُ السِّنَّ."

تخريج الحديث: (البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام، حديث رقم ٦١٤٢).

الشرح والتحليل :كلمة "كبّر كبّر" في هذا السياق النبوي هي قاعدة ذهبية في أدب الحوار الإسلامي، وتعني: "ليتكلم الأكبر سناً أولاً". ويستنبط من هذا الحديث أن احترام المسن يتجاوز مجرد السلام عليه إلى إعطائه حق القيادة في الحديث وإبداء الرأي (المباركفوري، ٢٠١٤، ص ٨٩). إن هذا التنظيم النبوي يضمن للمسن بقاءه في دائرة الفعل والتأثير، ويمنع تغييبه في النقاشات العائلية أو المجتمعية، مما يحفظ له توازنه النفسي وشعوره بالكرامة بين أهله وذويه.

نقد ظاهرة "التغييب الكلامي" للمسن

إن التوجيه النبوي "كبّر كبّر" يمثل رداً استباقياً على ظاهرة "التهميش الحواري" التي يعاني منها المسنون اليوم في ظل تسارع وتيرة الحياة الرقمية. نقدياً، نلاحظ أن الفجوة التقنية جعلت الصغير يترفع عن الاستماع للكبير بحجة عدم مواكبته للعصر، وهو ما يعد إخلالاً بالحق الأدبي في "صدارة التحدث" (بدوي، ٢٠١٩، ص ٢٠٣). هذا التغييب يؤدي إلى ما يسمى بـــ "العزلة النفسية داخل الأسرة"، حيث يتواجد المسن جسدياً ويغيب رأيه تأثيراً، إن إحياء سنة "تقديم الأكبر في الكلام" ليس مجرد تنظيم حواري، بل هو اعتراف بقيمة "الرواية التاريخية" والخبرة البشرية التي يمتلكها المسن، والتي لا يمكن للوسائل الحديثة تعويضها.

٣.المبحث الثـــاني: الحقـــوق التعبديـــة والشرعية (رعاية العجز)

يتناول هذا المبحث الجانب الفقهي والقانوني في السنة النبوية، حيث لم تكتفِ الشريعة بالوصايا الأدبية، بل وضعت تشريعات عملية تترجم مراعاة "الضعف البدني" للمسن إلى رخص شرعية وحقوق تعبدية ثابتة ترفع عنه الحرج (مراد، ٢٠١٩، ص ١١٢).

١.٣.المطلب الأول: حق التخفيف في العبادات الجماعية

يعتبر هذا الحق من أبرز مظاهر التيسير النبوي، إذ جعل النبي ﷺ رعاية حال المسن معياراً لضبط العبادة الجماعية، مقدماً مصلحة الضعيف على رغبة القوي في الإطالة.

نص الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إذا صَلَّى أحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ؛ فإنَّ فيهمُ الضَّعِيفَ والسَّقِيمَ والكَبِيرَ، وإذا صَلَّى أحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ ما شاءَ."

تخريج الحديث: (البخاري، كتاب الأذان، باب من شكا إمامه إذا طول، حديث رقم ٧٠٣).

الشرح والتحليل: يُقرر هذا الحديث قاعدة "مراعاة الأضعف" في التشريع؛ فالتخفيف هنا ليس نقصاً في العبادة، بل هو كمال في اتباع السنة. ويذكر الفقهاء أن قوله ﷺ "فيهم الكبير" حجة في وجوب نظر الإمام إلى أحوال المأمومين، فلا يجوز أن تكون العبادة سبباً في تنفير المسن أو إلحاق المشقة بجسده الناحل (ابن دقيق العيد، ٢٠٠٥، ج١، ص ٢١٠). إن هذا الحق يحفظ للمسن حقه في "الاندماج التعبدي" داخل المسجد دون أن يشعر بأنه عائق أو أنه غير قادر على المواكبة.

نقد ظاهرة "التشديد في العبادات"

يظهر التباين جلياً بين هذا المبدأ النبوي وبين واقع "التهميش المكاني" الذي يعاني منه المسن اليوم في بعض البيئات؛ فبينما يطوع النبي ﷺ نظام العبادة بالكامل لأجل "شخص واحد" مسن، نجد أن العمارة المعاصرة وتخطيط المدن والمساجد قد تغفل أحياناً عن توفير بيئة صديقة للمسن نقدياً، نلاحظ أن غياب فقه التخفيف قد يدفع المسن للشعور بالانفصال عن جماعة المسجد، وهو ما يسميه علماء النفس "الإقصاء الاجتماعي غير المباشر". وتشير دراسات علم النفس الإيجابي إلى أن شعور المسن بأنه "مُراعى" في الجماعة يُحفز لديه إفراز هرمونات السعادة التي تُقوي جهاز المناعة؛ حيث يرى عالم النفس "إريكسون" أن شعور المسن بالاندماج يمنحه "التكامل الذاتي" في مواجهة "اليأس"، مما يساهم فعلياً في تحسين جودة حياته وإطالة عمره النفسي (إريكسون، ٢٠١٥، ص ٢١٠).

٢.٣.المطلب الثاني: حق التيسير في فرائض الأركان (الصيام والحج)

عندما يصل المسن إلى مرحلة يعجز فيها جسدياً عن أداء الأركان التي تتطلب جهداً فائقاً، تتدخل السنة النبوية لتشريع البدائل التي تحفظ له أجره وتدفع عنه المشقة.

نص الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، قال: "ليست بمنسوخة، هي للشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً."

تخريج الحديث: (البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى أياماً معدودات، حديث رقم ٤٥٠٥).

الشرح والتحليل: تثبت السنة هنا حقاً أصيلاً للمسن في "الفدية" بدلاً من الصيام عند العجز، وفي "الإنابة" في الحج عند المشقة البدنية. هذا المنهج التشريعي يُلغي الشعور بالذنب لدى المسن العاجز، ويؤكد أن الشريعة تدور مع مصلحة

المكلف وجوداً وعدماً (الشاطبي، ١٩٩٧، ج٢، ص ٣٤٠). إن نقل التكليف من البدني إلى المالي (في الفدية) هو ملمح حقوقي يراعي التغيرات البيولوجية للإنسان في مرحلة الشيخوخة.

نقد تعسير فرائض الأركان (الحج والصيام)

هذا الحق التشريعي يواجه اليوم أزمة "المادية التشريعية" حيث يُكتفى في دور العجزة أو في الأسر الحديثة بدفع الفدية المالية للمسن دون مراعاة حاجته الروحية للمشاركة. النقد هنا يوجه للنماذج الاجتماعية التي تعتبر المسن "كياناً بيولوجياً" يُطعم ويُسقى فقط، بينما المنهج النبوي حافظ على كينونة المسن التعبدية عبر البدائل. وتؤكد الأبحاث النفسية الحديثة أن "المعنى" هو المحرك الأساسي لحياة كبار السن؛ فالمسن الذي يشعر أن دينه يفتح له أبواباً بديلة عند العجز ينجو من "قلق الموت" والاكتئاب. إن واقع "دار العجزة" الذي يختزل المسن في رقم سريري يتناقض مع الروح النبوية التي تجعل من عجز المسن سبباً في تيسير الحكم لا في إلغاء قيمة الفرد (بدوي، ٢٠١٩، ص ١٤٤).

٣.٣.المطلب الثالث: حق التلطف والرحمة في الموعظة والتعليم

لم تقتصر حقوق المسن على الجوانب المادية، بل شملت "أسلوب الخطاب"؛ فالمسن قد يقع في الخطأ نتيجة النسيان أو ضعف الإدراك، وهنا أرسى النبي ﷺ حق التلطف في التصحيح.

نص الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جاء شيخٌ يريدُ النبيَّ ﷺ، فأبطأ القومُ عنه أن يوسعوا له، فقال ﷺ: ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا."

تخريج الحديث: (الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، حديث رقم ١٩١٩).

الشرح والتحليل: يجمع هذا النص بين "الرحمة" و"التوقير" كحقين متلازمين للمسن؛ فالوقار يمنع الاستخفاف به، والرحمة تقتضي اللين معه في القول والتعليم. ويشير الشرّاح إلى أن إبطاء الصحابة في التوسعة للشيخ استوجب زجراً نبوياً شديداً بقوله "ليس منا"، مما يدل على أن التلطف مع المسن هو من صلب الهوية الإسلامية (المناوي، ١٣٥٦هـ، ج٥، ص ٣٨٠).

نقد الغلظة في الموعظة والتعليم

يُعد هذا الحديث رداً حازماً على ظاهرة "التنميط السلبي" للمسن، حيث يُنظر إليه اليوم في كثير من الأوساط على أنه "بطيء الفهم" أو "عقبة" في طريق الإنجاز. في واقع "دار العجزة"، نجد أحياناً لغة تخاطب جافة تفتقر لروح "التوقير" النبوي، مما يؤدي إلى ما يُعرف بـــ "الموت الاجتماعي" للمسن قبل موته البيولوجي. نقدياً، نجد أن الصرامة المادية في التعامل مع المسنين تحرمهم من أهم احتياج نفسي وهو "القبول غير المشروط". وبحسب مدرسة "سليجمان" لعلم النفس، فإن التوقير والاحتفاء بالمسن يعمل كـــ "مصدات نفسية" تحميه من التدهور المعرفي؛ فالاحترام ليس مجرد خلق، بل هو ضرورة حيوية تؤثر في الوظائف الإدراكية للمسن، وتجعل سنوات عمره الأخيرة أكثر إشراقاً وإنتاجية (سليجمان، ٢٠١٤، ص ٨٨).

٤.المبحث الثالث: الحقـــوق المجتمعيـــة والمادية للمسن

ينتقل هذا المبحث من حيز الشعور والعبادة إلى حيز التطبيق الاجتماعي والالتزام المالي، حيث أرست السنة النبوية منظومة تكافلية تضمن للمسن حياة كريمة بعيداً عن ذل الحاجة أو مرارة العزلة (عثمان، ٢٠٢١، ص ١٥٥).

١.٤.المطلب الأول: حق الكفاية المالية والنفقة

يُعد تأمين المورد المادي للمسن، خاصة الوالدين، واجباً شرعياً مقدماً على نوافل العبادات، وهو ما يضمن استقلالية المسن وعدم شعوره بعبء الوجود.

نص الحديث: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ اللهِ، إنَّ لي مالاً وولداً، وإنَّ أبي يريدُ أن يجتاحَ مالي، فقال ﷺ: "أنتَ ومالُكَ لأبيك."

تخريج الحديث: (أبو داود، كتاب الإجارة، باب في الرجل يأكل من مال ولده، حديث رقم ٣٥٣٠).

الشرح والتحليل: يقرر هذا الحديث قاعدة ذهبية في الحقوق المادية، وهي "الوحدة المالية" للأسرة في حال حاجة الأب المسن. ويوضح الشراح أن "اللام" في قوله "لأبيك" هي لام الإباحة والنفقة لا لام التملك الكلي، والمراد بها أن حق المسن في مال ولده عند الحاجة حق أصيل لا منة فيه (ابن القيم، ١٤١٥هـــ، ج٣، ص ٣٢٠). هذا التشريع يحمي المسن من شبح الفقر، ويجعل نفقته واجبة بحكم الشرع، مما يحفظ له عزة نفسه في مواجهة متطلبات الحياة التي قد يعجز عن توفيرها في كبره.

نقد الشح في الكفاية والنفقة

عند موازنة هذا الحق مع واقع "التخلي المادي" في المجتمعات الحديثة، نجد نقدًا لاذعًا لظاهرة "استقلال الأبناء المادي" الذي يترك الآباء المسنين في عوز، أو يرمي بهم إلى مؤسسات الرعاية الحكومية التي قد توفر الكفاف لكنها تسلب المسن "كرامة الإنفاق من مال الولد". نقدياً، نلاحظ أن "دار العجزة" في الغرب، وبعض الدول العربية مؤخراً، تحولت إلى "مقبرة للمسؤولية المالية"، حيث يتهرب الابن من حق النفقة بحجة دفع رسوم الدار. وتؤكد دراسات علم النفس الاقتصادي أن المسن الذي ينفق عليه ابنه يشعر بنوع من "الأمان الوجودي" لا يمكن أن تعوضه المعونات الحكومية؛ حيث يرى العالم "ماسلو" أن الحاجة للأمان لدى المسن ترتبط جذرياً بالانتماء الأسري، وأن انقطاع النفقة من الابن يسبب "قلق العجز" الذي يسرع من التدهور البيولوجي للمسن (ماسلو، ١٩٥٤، ص ٩٢).

٢..٤.المطلب الثاني: حق الرعاية الطبية وعيادة المريض

أولى الهدي النبوي اهتماماً فائقاً بصحة المسن، ليس فقط عبر العلاج، بل عبر "الدعم النفسي" المتمثل في العيادة المستمرة التي تشعره بأنه ما زال جزءاً من النسيج الاجتماعي.

نص الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عُودوا المريضَ، واتبَعوا الجنائزَ، تُذكِّركم الآخِرةَ". وكان ﷺ يتفقد كبار السن ويخصهم بالزيارة (البخاري، كتاب المرضى، باب وجوب عيادة المريض، حديث رقم ٥٦٤٩).

تخريج الحديث: (البخاري، كتاب المرضى، باب عيادة المريض، حديث رقم ٥٦٥٤).

الشرح والتحليل: عيادة المريض المسن في السنة هي "حق واجب" وليست مجرد نافلة، والسر في ذلك أن المسن المريض يعاني من "ألم الوحدة" أكثر من "ألم المرض". ويشير العلماء إلى أن زيارة النبي ﷺ للأعراب وكبار السن كانت تتضمن "التفاؤل" وقول "لا بأس طهور إن شاء الله"، وهو جزء من العلاج النفسي الذي يرفع الروح المعنوية للمسن (ابن حجر، ١٣٧٩هـ، ج١٠، ص ١١٨).

نقد الإهمال الطبي والنفسي

نقدياً، نجد أن الرعاية الطبية في العصر الحديث أصبحت "رعاية آلية"، حيث يتوفر الدواء ويغيب "الزائر". وفي واقع "دور العجزة"، يفتقد المسن لدفء الزيارة العائلية التي حثت عليها السنة، مما يحوله إلى "حالة طبية" بدلاً من "كيان

إنساني". تشير الدراسات النفسية الطبية إلى أن "العزلة الاجتماعية" ترفع معدلات الالتهاب في جسم المسن بنسبة تماثل تدخين ١٥ سيجارة يومياً. لذا، فإن حق العيادة النبوي يساهم في إطالة العمر الفعلي للمسن عبر تعزيز "شبكة الدعم الاجتماعي"، فالإنسان الذي يشعر بأنه محبوب ومرغوب في زيارته يمتلك مرونة عصبية أعلى تساعده على مقاومة أمراض الشيخوخة كألزهايمر والخرف (الشرقاوي، ٢٠١٧، ص ٢٤٠).

٣.٤.المطلب الثالث: حق الحماية من العزلة والدمج الاجتماعي

لم تقف السنة عند رعاية المسن نفسه، بل شرعت صلة "أصدقاء المسن" ومحيطه الاجتماعي، لضمان عدم شعوره بالوحدة بعد رحيل أقرانه أو فقدان شريك حياته.

نص الحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "إنَّ أبرَّ البرِّ صلةُ الولدِ أهلَ ودِّ أبيه."

تخريج الحديث: (مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة أهل ود الأب، حديث رقم ٢٥٥٢).

الشرح والتحليل: هذا الحديث يمثل قمة الرقي الاجتماعي في الحفاظ على "المجال الحيوي" للمسن. فالبر لا يتوقف عند شخص الأب المسن، بل يمتد لشبكته الاجتماعية، لأن المسن يرى في أصدقائه ذاكرته وشبابه، فإذا وصل الابن أصدقاء والده، فقد أحيا لوالده تاريخه ومنحه شعوراً بالاستمرارية (النووي، ١٣٩٢هـ، ج١٦، ص ١١٠).

نقد العزلة والإهمال الاجتماعي

يواجه هذا الحق النبوي في الواقع المعاصر ظاهرة "الفردانية المتوحشة"، حيث يُعزل المسن تدريجياً عن مجتمعه القديم. نقدياً، نجد أن العمارة السكنية الحديثة (الشقق المغلقة) ساهمت في "سجن المسن" ومنع دمجه الاجتماعي، بخلاف "المجلس" أو "المسجد" في المجتمع النبوي. وتؤكد أبحاث "علم اجتماع الشيخوخة" أن "الإقصاء المكاني" للمسن في غرف معزولة أو دور بعيدة يؤدي إلى تراجع القدرات الكلامية والحركية. الاستشهاد هنا بآراء علماء النفس يوضح أن "التوقير الاجتماعي" (بأن يظل المسن مرجعاً في محيطه) يطيل العمر الوظيفي للدماغ؛ فالمسن الذي يمارس دوره الاجتماعي بفاعلية يعيش حياة أطول بنسبة ٢٠% مقارنة بمن يعيشون في عزلة (عبد الرحمن، ٢٠١٤، ص ١٧٢).

٤.خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد؛ فقد طاف هذا البحث في رحاب السنة النبوية المطهرة لاستجلاء معالم "المنهج الحقوقي" الذي رسمه النبي ﷺ لرعاية المسنين، وقد تبين من خلال الدراسة الموضوعية لـــ (٩) أحاديث من الأصول الجامعة أن الإسلام لم ينظر للمسن بوصفه حالة اجتماعية هامشية، بل جعل توقيره وإجلاله جزءاً لا يتجزأ من إجلال الخالق سبحانه .إن الرقي النبوي الذي تجلى في المباحث الثلاثة كشف عن توازن فريد بين الحقوق المعنوية التي تحفظ للمسن كرامته وهيبته، والحقوق التعبدية التي تراعي ضعفه البيولوجي، والحقوق المادية التي تضمن كفايته واستقلاليته، وبالنظر النبوي المقارن مع الواقع المعاصر، نجد أن الأزمة التي يعاني منها كبار السن اليوم في دور العجزة أو عبر التهميش الأسري ليست أزمة موارد، بل هي أزمة "قيم وتوقير"، حيث أثبتت الدراسات النفسية والشرعية تلازم الاحترام مع جودة الحياة وطول العمر النفسي، إن هذا البحث يخلص إلى أن العودة للمعين النبوي هي السبيل الوحيد لإعادة الاعتبار لهذه الفئة، وتحويل الشيخوخة من "مرحلة انتظار" إلى "مرحلة حصاد" تليق بمكانة الإنسان الذي كرمه الله.

أهم نتائج البحث

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١. **القدسية الحقوقية:** أن حقوق المسنين في السنة ليست مجرد وصايا أخلاقية، بل هي منظومة شرعية ترتقي لمستوى العبادة (إجلال ذي الشيبة من إجلال الله).

٢. **معيارية السن:** أرسى النبي ﷺ "السن" كمعيار مرجح عند استواء الكفاءات في الإمامة والريادة، مما يحمي المسن من الإقصاء.

٣. **التيسير التشريعي:** راعت السنة "فقه العجز" عبر رخص تعبدية (التخفيف في الصلاة، الفدية، الإنابة) تحفظ للمسن صلته بربه دون مشقة بدنية.

٤. **الأمان المادي والنفسي:** أوجبت السنة النفقة على المسن وجعلتها حقاً أصيلاً في مال الولد، وربطت الصحة النفسية بالدمج الاجتماعي وعيادة المريض.

٥. **الأثر الحيوي للتوقير:** أثبت البحث (بالربط مع علم النفس) أن التوقير النبوي يعمل كـــ "مصدات نفسية" تحمي المسن من التدهور المعرفي والاكتئاب.

التوصيات

يوصي البحث بما يأتي:

١. **تفعيل المناهج التربوية:** تضمين قيم "توقير الكبير" المستنبطة من السنة في المناهج التعليمية لتعزيز الترابط بين الأجيال.

٢. **أنسنة الرعاية:** دعوة القائمين على دور الرعاية والمستشفيات لاعتماد "منظومة التلطف النبوية" كبروتوكول تعامل وليس فقط رعاية طبية آلية.

٣. **الإعلام القيمي:** إنتاج محتوى إعلامي يسلط الضوء على "خبرات المسنين" تفعيلاً لمبدأ "كبّر كبّر" النبوي في صدارة التحدث.

المقترحات

يقترح الباحث ما يأتي:

١. إعداد دراسة تخصصية حول "العمارة الصديقة للمسن" في ضوء الأحاديث النبوية المتعلقة بالولوج للمساجد والمجالس.

٢. إجراء بحث ميداني يقارن بين الحالة النفسية للمسنين في "الأسر الممتدة" وبينهم في "دور الرعاية" بناءً على معايير السنة.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (١٤١٥هـ). *زاد المعاد في هدي خير العباد* .مؤسسة الرسالة.

٢. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (١٣٧٩هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. دار المعرفة.

٣. ابن حنبل، أحمد. (٢٠٠١). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. مؤسسة الرسالة.

٤. ابن دقيق العيد، محمد بن علي. (٢٠٠٥). *إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام*. دار عالم الكتب.

٥. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. (د.ت). *سنن أبي داود*. المكتبة العصرية.

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٢هـ). الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري). دار طوق النجاة.

٧. الترمذي، محمد بن عيسى. (١٩٧٥). *سنن الترمذي*. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٨. الشاطبي، إبراهيم بن موسى . (1997). *الموافقات* .دار ابن عفان.

٩. المباركفوري، محمد عبد الرحمن . (2014). *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي* .دار الكتب العلمية.

١٠. مسلم، بن الحجاج القشيري. (د.ت) . *المسند الصحيح (صحيح مسلم)* .دار إحياء التراث العربي.

١١. المناوي، زين الدين محمد. (١٣٥٦هـ) *فيض القدير شرح الجامع الصغير* .المكتبة التجارية الكبرى.

١٢. النووي، يحيى بن شرف. (١٣٩٢هـ) .*المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج* .دار إحياء التراث العربي.

١٣. إريكسون، إريك .(2015) *مراحل النمو النفسي والاجتماعي* .(ترجمة م. عودة). دار الفكر العربي.

١٤. الخولي، محمد .(2020) .*الحقوق الإنسانية في السنة النبوية* .دار النهضة.

١٥. الزحيلي، وهبة .(2018) .*الفقه الإسلامي وأدلته* .دار الفكر.

١٦. الشرقاوي، حسن .(2017) .*الطب النفسي في التراث الإسلامي* .دار العلم للملايين.

١٧. بدوي، أحمد .(2019) .*الشيخوخة والمنظور النفسي الاجتماعي* .دار المعرفة الجامعية.

١٨. سليجمان، مارتن .(2014) .*علم النفس الإيجابي* .دار جرير.

١٩. عبد الرحمن، سامي .(2014) . *سيكولوجية التفاعل الاجتماعي* .مكتبة الأنجلو المصرية.

٢٠. عثمان، عبد الله .(2021) .*التكافل الاجتماعي في الإسلام* .دار القلم.

٢١. عمار، علي .(2021) .*القيادة والسن في الفكر الإسلامي* .دار الوفاء.